

عقبات الدعوة من قصة موسى عليه السلام

أ/ حاتم فارح أحمد علي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد:

العقبة في اللغة هي: المرقى الصعب من الجبال وجمعه عقاب^١.

والعقبة في الاصطلاح الدعوي هي: (حسب تعريف بعضهم) : (نريد بمشكلات الدعوة وعقباتها: "مجموعة الأخطاء والمعوقات التي يقع فيها الدعاة أو يواجهونها في طريق دعوتهم داخلية كانت أو خارجية وتشكل عقبة أو مشكلة في سبيلهم، سواء أكانت هذه الأخطاء والمعوقات في جانب المفاهيم الدعوية أم في جانب المناهج والأساليب والوسائل^٢.

وقبل الكلام عن عقبات الدعوة في قصة موسى عليه السلام يجب التنبيه على ما يلي:

١- لا يشترط في الأخطاء الدعوية والمعوقات حتى تسمى عقبات ومشكلات أن تكون عامة منتشرة في جميع الدعاة ويكفي في ذلك أن توجد في صفوف الدعاة ولو قلوا أو يعاني منها المصلحون أياً كانوا...

٢- أنه من التفريط أن تهمل المشكلات والعقبات الدعوية ويتجاهل أمرها حتى تتمكن في طريق الدعوة ويصعب علاجها. كما من الخطأ تضخيمها وإعطائها أكبر من حجمها فتوقع الدعاة في اليأس والقنوط.

وقد وقع الاختيار على قصة موسى عليه السلام لتكون موضوع دراسة قضية عقبات الدعوة وذلك بسبب كثرة ورودها ولكونها متعددة الفصول والمشاهد وفي ذلك يقول سيد قطب رحمه الله: (... ثم يقص على رسوله حديث موسى، نموذجاً لرعايته للمختارين لعمل دعوته، وقصة موسى هي أكثر قصص المرسلين وروداً في القرآن. وهي تعرض في حلقات تناسب موضوع السورة التي تعرض فيها وجوها وظلها.. ففي سورة البقرة سبقتها قصة آدم وتكريمه في المأ الأعلى وعهد الله إليه بخلافة الأرض ونعمته عليه بعد ما غفر له.. فجاءت قصة موسى وبني إسرائيل تذكيراً لبني إسرائيل بنعمة الله عليهم وعهده إليهم وإنجائهم من فرعون وملئه، واستسقاءهم وتفجير الينابيع لهم وإطعامهم المن والسلوى وذكرت مواعدة موسى وعبادتهم للعجل من بعده، ثم غفرانه لهم، وعهده إليهم تحت الجبل، ثم عدوانهم في السبت وقصة البقرة...)^٣.

١- العقبة الأولى: الأكاير والملا:

الملا كما يقول المفسرون: هم أشرف القوم وقادتهم ورؤساؤهم وسادتهم^٤.

^١ - المعجم الوسيط، مادة: عقب.

^٢ - مدخل إلى علم الدعوة (٣٤٦).

^٣ - في ظلال القرآن (٢٣٢٩/٤).

^٤ - ابن كثير (٢٢٢/٢) نقلاً عن أصول الدعوة (٣٨٠).

أي البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ والذين يعتبرهم الناس أشرافاً وسادة، وهم الذين يستحقون - في نظر الناس - قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه وقد يباشرون ذلك فعلاً..

وإطلاق كلمة المأ عليهم في القرآن بهذا المعنى هو من قبيل بيان الواقع لا من قبيل بيان الاستحقاق كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في رسائله إلى رؤساء فارس والروم مثل عظيم الروم وغيرها. الحال والوصف الغالب للأكابر والمأ هو معاداتهم للدعوة إلى الله وقيادتهم لحملات التكذيب والافتراء والتضليل ضد أنبياء الله واتباع الأنبياء.

أسباب عداوة المأ للدعوة:

١ - الكبر: فهو آفة عظيمة ومن آثاره عدم رؤية الحق في غالب الأحيان أو رؤيته وعدم الاعتراف به والانقياد له.

فالكبر يمنع المتكبر من الرؤية الصحيحة لفنر نفسه فيراها فوق أقدار الناس فيستكف أن يكون معهم أو تابعاً لأحدهم.

قال الله تعالى في حق فرعون وملاه: "ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً" وقال تعالى: "ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين، إلى فرعون وملاه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين، فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون، فكذبوهما فكانوا من المهلكين" وفي سيرة النبي الكثير من المواقف التي تبين كبر قريش..

٢ - الحفاظ على المصالح: ومنها حب الرياسة والجهل والمأ وأكابر القوم يحبون الرياسة والجاه والتسلط على رقاب العباد ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم من الناس وتجعلهم تابعين كبقية الناس وهم يتصورون أن قبول الدعوة إلى الله يسلبهم الجاه والسلطان ولذلك يقاومونها ويعادونها ويأتون بالأباطيل لتبرير عداوتهم.

قال تعالى: "ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملاه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين.. قالوا أجبنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين".

ففرعون وملاه استكبروا عن اتباع الحق ثم برروا استكبارهم عن الحق بالادعاء بأن موسى وهارون يريدان أن تكون لهما الكبرياء والعظمة والرياسة في الأرض وهم لا يقبلون أن ينافسهم أحد في هذا الشيء. قال تعالى عن المأ: "وانطلق المأ منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد" قال ابن كثير في معنى قوله تعالى: "إن هذا لشيء يراد".

قال ابن جرير في معنى هذه الآية: إن المأ قالوا إن هذا الذي يدعونا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد لشيء يراد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه.

٣ - الجهالة: وهم عارقون فيها ولا يشعرون بجهالتهم فهم يكفرون بربهم ويردون دعوته ويحاربونها ويصفون الدعاة بالسفه والضلال وخفة العقل ويؤلبون الدهماء عليهم ويستهزئون بالمؤمنين زاعمين أنهم لا يفهمون ولا يعلمون...

وإن الأنبياء والدعاة إلى الله مفسدون في الأرض وأن المأ المصلحون.

الملاهم في كل زمان ومكان بأوصافهم وأخلاقهم التي بينها القرآن يقفون غالباً في وجه كل دعوة إلى الله تعالى ويحاربونها بدافع الكبر الذي يغش نفوسهم وبدافع حب الرياسة على الناس وخوفهم أن هذه الدعوات الربانية تسلبهم مكانتهم وتزفهم وكذلك الجهل الذي يخيم على مثل هذه النفوس^١.
قال سيد رحمه الله^٢: إن الذي يحول دون تحول هذه المجتمعات الجاهلة إلى النظام الإسلامي هو وجود الطواغيت التي تأبى أن تكون الحاكمة لله. تأبى أن تكون الربوبية في حياة الناس والألوهية في الأرض لله وحده.

ماذا يفعل الأكابر:

- ١ - يذلون شعوبهم.
 - ٢ - يتبعون سادتهم.
 - ٣ - يحطمون القيم.
 - ٤ - يحاربون الدعوة ولا يدركون أن حربهم تفريد الدعوة وأن الدماء تروي شجرة الدعوة فتمتد جذورها في الأرض وتنتشر فروعها في السماء.
- وإن السجن والتعذيب لا يقضي على الداعية بل يحصه ويشحذه لمرحلة أخرى يكون فيها أصلب عوداً وأوفر يقيناً^٣.

٢ - العقبة الثانية: التذكير بالأخطاء السابقة:

وهذه الظاهرة تبرز في قصة موسى مع فرعون في عدد من الصور من أبرزها الحوار الذي دار بين موسى وفرعون وهو يدعو لعبادة الله وحده فما كان من فرعون إلا أن فتح لموسى أحد ملفات الماضي كما يقول تعالى حاكياً عن فرعون: "فعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين، قال فعلتها إذاً وأنا من الظالمين".
تدبر كيف أن موسى عليه السلام قد حاول جاهداً أن يرد الطاغية إلى رشده ويفهمه تلك القاعدة والسنة الإلهية في مراعاة مرحلة التطور الفكري حيث اعترف بتلك الفعلة في شجاعة نادرة، ولكنه عليه السلام أعلن أنه حين فعلها قد فعلها وهو الجاهل فلما يؤخذ بجريدة مرحلة قد تعادها سلوكاً وفكراً إلى مرحلة النضج.
ولكن هذا يدين الجاهلين بسنن الله عز وجل في التطور الإيماني والفكري والنفسي والتربوي عند البشر.
فمن سننه سبحانه أن يؤخذ في الاعتبار مراحل التطور الفكري عند البشر التي من شأنها أن تنتج تطور السلوك ونضجه في حياة الفرد فلكل مرحلة فكرية سلوكياتها بل ومقاييسها ومعاييرها الخاصة بها.
وتدبر كيف راعى النبي صلى الله عليه وسلم المرحلة الفكرية وذلك في تعامله مع خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما أسلم وذلك على أساس أن الإسلام يجب ما قبله فلم يفتح صلى الله عليه وسلم يوماً ما ملفه السابق

١ - أصول الدعوة (٣٨٨).

٢ - الظلال (٢٠١٢/٤).

٣ - عوائق في طريق الدعوة (٣٧).

في حربه ضد الإسلام والدعوة حتى ولو كانت الأوراق الخاصة بمصيبة (غزوة أحد) والتي أصيب فيها الحبيب جسدياً ومعنوياً بل أقر اختياره لقيادة جيش المسلمين في غزوة مؤتة وذلك بعد ثلاثة أشهر من إسلامه وسماه (سيف الله).

وكذلك عكرمة فقد قال لما رآه قادماً: "سيأتىكم عكرمة مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤدي الحي ولا يبلغ الميت".

ففي مجال الدعوة يجب على الدعاة أن يتنبهوا لهذه الظاهرة لأنها قد تكون عقبة في طريق الدعوة إلى الله فهي ظاهرة اعتلالية خطيرة وقد يكون لها مظاهر عدة مثل:

١ - تعامل الدعاة مع غيرهم ومع بعضهم على أساس أحداث الماضي وعل هفوات سابقة وعلى أخطاء اندثر زمانها والتي على أساسها توضع حوله الدوائر الحمراء فنتحول إلى أوراق تهديدية تضم إلى ملفه فتمثل عوائق قاسية تمنع تقدمه وتقتل طموحاته..

وهذا الفعل قد يستساغ من الطغاة المجرمين ولكن العجب حين يصدر من الدعاة مع المدعوين أو من القيادة تجاه الأفراد.

٢ - ومنها أن تجد البعض يتعامل مع الفرد وفق عادة التفتيش عن الأخطاء وعادة اللوم والتأنيب والتحميل فوق الطاقة^١.

٣ - العقبة الثالثة: الضعف الداخلي للصف:

إن الكلام عن هذه العقبة جاء من خلال النظر في أحد فصول قصة موسى عليه السلام وهو ما جرى مع السامري.

إنها أنموذج الشخصية الخفية التي لا تعمل عادة إلا في الليل، إنها أنموذج الشخصية الخفية الشيطانية التي أضلت بني إسرائيل في غيبة موسى عليه السلام والتي أوردتها القرآن في معرض كلامه من الفتن التي ضربت بني إسرائيل في أعقاب نجاتهم من فرعون وجنوده..

إن صاحب هذه الشخصية هو الحاضر في غيبة القيادة والذي يعمل على تضليل القاعدة وهو الناشط في حضورها لتمير أهدافه وغاياته من خلالها. إن هي ضعفت أمامه وطاوعته واستسلمت له إنه وراء فشل الكثير من المشاريع الناجحة وهدم العديد من المؤسسات الفالحة، وبروز الكثير من المشكلات السوداء الكالحة..

كما لطح هذا الصنف من الناس (ذات الصفات السامرية) سمعة الإبرياء وهذه الثقة بالشرفاء، وألفت الانتباه أن المعالجة القرآنية لهذا الصنف من البشر لا تكون إلا بمقاطعتهم وعدم الاتصال بهم وهذا منا قضى به موسى عليه السلام في حق السامري حيث قال: "قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه".

^١ - فقه الظواهر الدعوية ص (٣٠).

لقد بدت هذه الشخصية السامرية في عهد النبوة في أمثال عبد الله بن أبي بن سلول ومعظم الناشطين في حركة النفاق وظهرت في العصر الحديث داخل الجماعات الإسلامية وتكون العاقبة من وجودهم وانتشارهم:

أ- شيوع الفتن في صفوفها.

ب- استشراف الغيبة والنميمة بين عناصرها.

ج- بروز ظاهرة الصراع بين أجيالها.

د- تراجع دور المحاضن التربوية فيها.

هـ- تعاضم الاهتمام بالمناصب الاجتماعية والمصالح الشخصية.

و- خسارة العديد من أصحاب الكفاءة.

ز- تسلق أصحاب الأهواء هرم المسؤوليات.

إن الصفة الثابتة الملازمة لأصحاب هذه الشخصيات السامرية عبر التاريخ هو أن يعيشوا على التناقضات إن وجدت وإيجادها إن غابت وتأجج الصراعات وابتعث الأزمات.

وإن مشكلة هؤلاء أنهم مرضى مقعدون ومرضى نفوس يعمدون إلى إثبات شخصية من خلال مخالفة كل ما هو مألوف إن أنت أكرمتهم تمردوا وإن أنت عفوت عنهم تساهلوا وعربدوا ولا ينفع معهم إلا البتر والإقصاء والإبعاد ذلك حكم الله فيهم وهو خير الحاكمين^١.

٤ - العقبة الرابعة: ضعف الطاعة والجنديّة:

الطاعة في اللغة: الانقياد والمواطنة.

وفي الاصطلاح: موافقة الأمر طوعاً.

وفي الاصطلاح الدعوي: عمل المطلوب في الوقت الذي ينبغي أن يعمل فيه.

وهناك أسباب كثيرة تؤدي إلى عدم الطاعة منها داخلية ومنها خارجية.

فالداخلية مثل:

١ - الاستجابة للوساوس والشبهات الشيطانية والظن.

٢ - الإطراء بالمدح والإعجاب بالنفس.

٣ - التنافس وعدم تحمل الرأي الآخر والفرقة.

٤ - حب الرياسة والرغبة في التحرر من سيطرة الآخرين.

٥ - الاجتهاد المخالف.

٦ - استنباق المسؤول.

٧ - العجز عن تحمل المشاق.

^١ - قطوف شائكة ص (١٦٤) وما قبلها.

والخارجية مثل:

- ١ - المحن والابتلاء.
- ٢ - المجتمع والأهل.
- ٣ - حركات الضرار.

ومن أسباب ضعف الطاعة والانضباط:

- ١ - التداخل بين العمل الدعوي والمصالح الشخصية.
- ٢ - التقاعس من القيادة في المتابعة.
- ٣ - التكتلات داخل الصف.
- ٤ - عدم الشعور بأهمية العمل الجماعي.
- ٥ - اختلاف الأهداف.
- ٦ - عدم وضوح التكليف.
- ٧ - ضعف الجانب الإيماني والتعدي.
- ٨ - شعور الفرد بإمكاناته العالية وأنه متفوق.
- ٩ - الحيل النفسية.
- ١٠ - الميل لحب الانتقاد لأي عمل مع قلة العطاء.
- ١١ - الاستهانة برموز الدعوة وقادتها وأصحاب السبق فيها والاستخفاف بهم وبما قدموا.
- ١٢ - وضع التكليف في غير موضعه.
- ١٣ - الرغبة في معرفة كل أمر والخوض فيما لا يعنيه.
- ١٤ - عدم معرفة سمات الأفراد وإمكاناتهم.

مراجع البحث:

- ١ - تفسير ابن كثير
- ٢ - تفسير في ظلال القرآن
- ٣ - المدخل إلى علم الدعوة
- ٤ - عوائق في طريق الدعوة
- ٥ - الانضباط والطاعة وأثرها التربوي
- ٦ - العوائق
- ٧ - قطوف سائكة
- ٨ - مشكلات الدعوة والدعاة
- ٩ - أصول الدعوة في قصة موسى
- ١٠ - آفات على الطريق
- ١١ - معوقات العمل الإسلامي
- ١٢ - فقه الظواهر الدعوية
- ١٣ - مشكلات وحلول في حقل الدعوة عبد الحميد البلالي.
- ١٤ - المعجم الوسيط
- ١٥ - الطاعة في المعروف
- ابن كثير.
- سيد قطب.
- محمد البايانوني.
- على جريشة.
- أحمد العليمي.
- محمد الراشد.
- فتحي يكن.
- محمد حسين الذهبي.
- ابراهيم عمارة.
- السيد محمد نوح.
- بهيح ملا حويش.
- حمدي شعيب.
- مجموعة.
- جمعة أمين.